

تجارب الائتلاف السياسي في الحركة الوطنية الجزائرية 1919 – 1954

د. مراد بوعباش

أستاذ محاضر - أ -

المدرسة العليا للأساتذة . بوزريعة



التي أنشأ من أجلها ؟

مقدمة:

حركة الأمير خالد و النواة الأولى للوحدة الوطنية .

تجلى دور الامير خالد في انشاء نجم شمال افريقيا في مواقفه من الاستعمار الفرنسي حيث برزت توجهاته الاستقلالية مع العريضة التي سلمها للرئيس الاميركي ولسن عام 1919 ، و لقد جاءت مطالب هذه العريضة استقلالية تهدف الى فصل الجزائر عن فرنسا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. و مما جاء فيها :

« رغم كل هذا فاننا ناتي باسم مواطنينا لنستعطف المشاعر النبيلة لرئيس امريكا الحرة و نطلب ارسال ممثلين نختارهم نحن بكل حرية ليقرروا مصيرنا في المستقبل تحت اشراف عصبة الامم. إنّ شروطكم الاربعة عشر من اجل سلم عالمي قد قبلها الحلفاء والقوات المركزية ، ولهذا ينبغي ان تكون اساسا لانعتاق كل الشعوب المضطهدة دون تمييز لا في الجنس ولا في الدين»¹

لقد جاء مضمون المذكرة التي رفعها الامير خالد شاملة لكل القضايا التي يعيشها الشعب الجزائري، اذ شرح من خلالها الجرائم الفرنسية في حق الجزائريين

بعد فشل المقاومات الشعبية في الجزائر إثر الاحتلال الفرنسي للبلد عام 1830 ن اتجهت الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى شكل جديد من المقاومة عرف في أدبيات الحركة الوطنية بالمقاومة السياسية حيث ظهرت تيارات عديدة وفق برامج مختلفة و أهداف أقل ما يقال عنها متقاربة « الاستقلال ».

وبناء عليه ، فقد ظهرت على الساحة الوطنية تيارات عديدة كلها تهدف إلى جلب الجزائريين وفق برامج وتوجهات وايدولوجيات مختلفة في الشكل و متقاربة في المضمون.

إلا أنّ هذا الاختلاف لم يمنع من حين لآخر مبادرات من أجل الوحدة ضد العدو كما حدث في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 ، أو ضمن أحباب البيان و الحرية سنة 1944 ، أو ضمن الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات و احترامها سنة 1951 .

إنّ أهمية هذه الدراسة تكمن في الإجابة عن سؤال مهم كون العمل الوحدوي هل هو نتاج لظروف أمثلتها المرحلة ام تطور طبيعي في نسيج الحركة الوطنية. ومن ثم ما هي المظاهر والإشكال التي اتخذها العمل الوحدوي ؟ وهل بلغ هذا العمل إلى أهدافه الإستراتيجية

عليها المعمرون وذلك بصفة عملية الى جانب المسائل الاجتماعية .

كما اقترح اثناء خطابه انشاء حركة سياسية لابناء شمال افريقيا و اطلق على الحركة اسم « نجم شمال افريقيا » و طلب الموافقة على الاقتراح فنال الاغلبية .⁶

كما اشرف الامير خالد في باريس على تأسيس لجنة من ابناء الشمال الافريقي و منهم الحاج عبد القادر والحاج احمد مصالي و المنور عبد العزيز و على الحمامي واحمد بهلول و اكلي بانون و غيرهم.⁷

كما كانت دعوة الامير خالد للتضامن بين الجزائريين حيث اسسفي 23 جانفي 1922 جمعية الاخوة الجزائرية مع نخبة من رجال العلم منهم زهير بن سماية و يوسف حميدة و الذين اطلق عليها جمعية الاخوة الاسلامية. و كان من اهدافها خدمة القضايا السياسية و الاجتماعية و الثقافية للشعب. حيث يقول : « ان الاخوة الجزائرية من واجبها الاول بيان تضحيات الاهالي الجزائريين المسلمين في الحرب العالمية الكبرى إنّ الاخوة الجزائرية تتقدم بطلب الغاء جميع القوانين الاستثنائية التي لا يزال يرزخ تحتها الاهالي المسلمون ، في اقرب وقت ممكن والرجوع الى القانون العام...»⁸

ومن اشهر ما قاله الامير خالد امام الرئيس الفرنسي ميلران يوم 22 ماي 1922 « لا بد من اعادة مجد اجدادنا و لو بقطع نصف رقاب الجزائريين»⁹

و تعدى عمل الامير خالد من العمل ضمن حدود الوطن الى حدود المغرب العربي حيث استطاع غرس فكرة العمل المشترك بين اجزاء المغرب حيث شارك في اول مؤتمر مغربي انعقد في باريس يوم 07 ديسمبر 1924.¹⁰

المؤتمر الإسلامي 1936

اعتبر عقد الثلاثينيات من القرن الماضي منعطفًا

وخرق الاستعمار لمعاهدة 5 جويلية 1830 ، ومن ثم اعطى الامير خالد حقيقة الاحتلال و نتائجه على الشعب الجزائري ، وانه قد حان الوقت للاعتراف بالمطالب المشروعة و الشرعية للجزائريين مع حق تقرير المصير تحت وصاية عصبة الامم.

وكان هدف هذه العريضة التعريف بحال الاهالي المسلمين بالجزائر و لفت انتباه الى معاناتهم باعتبارهم مستعمرين منبوذين²

لقد كانت محاولات الامير خالد ايجاد صلاة و ترابط بين المقاومة الريفية التي تقلص دورها الى حد كبير و بين المواطنة الحضرية التي كانت في اول عهدها في حالة من الاضطراب³

أضف الى ذلك خطابه امام الرئيس الفرنسي « ألكسندر ميليران »* يوم 20 افريل 1922 التي يقول فيها : « بان الجزائريين يطالبون في الحال بالحرية المدنية و بتقلد المراكز في العائلة الفرنسية بدون شروط »⁴

كما يمكن ان نجد نفس المطالب في برقية الى رئيس الوزراء « ادوارد هوريو »** التي جاء في دباقتها : « سيدي الرئيس، استبشر المسلمون الجزائريون خيرا لدى وصولكم الى الحكم و اعتبروا ان عهدا جديدا قد بدا من اجل الحرية و الانعتاق ، وباسمي الشخصي المتواضع وكمدافع عن قضية اهالي الجزائر فرض علي اللجوء الى الخارج بسبب اني تجرأت عن الدفاع الصريح عن اخواني المسلمين . يشرفني ان اضع بين الرئيس الجديد للحكومة الفرنسية برنامج المطالب التي نراها اولوية...»⁵

كما كانت لزيارة الامير خالد لفرنسا و القائه محاضرة يوم 12 جوان 1924 والتي ركز فيها على المسائل السياسية مثل التمثيل النيابي و الغاء القوانين الاستثنائية والمسائل الاقتصادية مثل مشاركة المسلمين الجزائريين في استغلال الاراضي التي يسيطر

جلول رئيس جمعية النواب بعمالة قسنطينة الى عقد مؤتمر اسلامي جزائري عام تعرض فيه مطالب الامة و حقوقها و تتبادل فيه الاراء بين علماء الامة و نوابها و ذوي الراي منها فيما يتفق من هذه المطالب و الحقوق مع الاوضاع الحكومية الحاضرة ، و لقد هبت الامة كلها على صوت الداعي فاعلنت يقظتها و شعورها و استعدادها و تضامنها و اتحادها»¹³ و يرى الاستاذ محمد الميللي بان فكرة انشاء حزب او تجمع سياسي اسلامي جزائري ترجع الى اعقاب الحرب العالمية الاولى في اطار الحركة التي قام بها الامير خالد ن كما ان فكرة مؤتمر اسلامي جزائري يضم كل التيارات السياسية و الاصلاحية الدينية كانت قد خطرت في ذهن الشيخ ابن باديس منذ مطلع الثلاثينيات ليتجسد ذلك سنة 1936.¹⁴ و إذا عدنا الى قرارات المؤتمر فان الملاحظ ان المطالب و ان كانت لا تعرقى الى مطلب الاستقلال الا ان الاجماع الذي حدث خلال المؤتمر هو الاهم في مثل تلك الظروف. و لقد تمت المصادقة بالاجماع على المطالب التالية :

1 - القرارات :

أ - ثقة المؤتمر بالحكومة الشعبية الجديدة وشكرها على عواطفها نحو الامة الجزائرية.

ب - الغاء جميع القوانين و القرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.

ج - تحويل المسلمين الجزائريين جميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون مع المحافظة التامة على المميزات الاسلامية التي يتمتع بها المسلم الجزائري في احواله الذاتية الشخصية مع ادخال اصلاحات عليها.

د - تحويل المسلمين الجزائريين حق التمثيل في البرلمان الفرنسي على هذه الصورة :

1 - انتخاب مشترك بين المسلمين و الفرنسيين.

2 - تعميم في المنتخبين المسلمين على الصورة

هاما في تاريخ الجزائر نظرا للاحداث التي ميزته اهمها احتفال فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلالها الجزائر، وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مروراً بالمؤتمر الاسلامي لعام 1936 ، وانتهاء باندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939.

ورغم ما كانت تعاني منه الحركة الوطنية في هذه الفترة من مضايقات الا انها استطاعت ان تتبلور في تيارات مختلفة تجسدت في تيار الادمج و تيار الاستقلال و تيار الاصلاح .

وبميلاد هذه التيارات يمكن القول بان الحركة الوطنية قد اكتملت من حيث التنوع وتشعبت في اتجاهات مختلفة ايدولوجيا و سياسيا لا يجمع بينها سوى كون زعمائها جزائريون.

كما شهدت هذه الفترة وصول الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا يوم 4 جوان 1936 والتي علقته عليها شعوب المستعمرات و منها الجزائر آمال كبيرة في تحسين اوضاعها المزرية¹¹.

كما يضيف بعض المؤرخين ان فكرة المؤتمر الاسلامي هي امتداد للمؤتمرات الاسلامية التي كانت قائمة في تلك المرحلة و اهمها مؤتمر الخلافة الاسلامية بالقاهرة المؤتمر الاسلامي في القدس ، و مؤتمر مسلمي اوربا بجنيف و هذا ما اشار اليه الاستاذ سعد الله بقوله : « لا نستبعد ان الفكرة قد اختمرت في ذهن بعض القادة الجزائريين عندئذ و الذي يطالع مجلة الشهاب من 1930 - 1936 يجد فيها مجموعة من الاراء الداعية الى التجمع و تكوين الاحزاب ، و عقد اللقاءات ، و تنظيم الشعب على نطاق جديد لمواجهة التطورات الجديدة في الجزائر ..»¹²

و لقد جاء في جريدة البصائر قولها : « هبت الامة الاسلامية الجزائرية بجميع طبقاتها على تلك الدعوة الجامعة التي اذاعها الاستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الدكتور بن

الجارية الآن في انتخاباتهم المحلية.

3 - تأكيد في المحافظة على الاحوال الشخصية الاسلامية.

هـ - تاسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر على الوجه الآتي بعد.11

ثم جاءت القرارات التي صادق عليها المؤتمر على النحو التالي :

1 - إلغاء جميع القوانين الاستثنائية التي لا تطبق الا على المسلمين.

2 - الارتباط المطلق بفرنسا مع حذف كل الاجراءات الخاصة مع الغاء النيابات المالية ، الولاية العامة

3 - المحافظة على على الحالة الشخصية مع اعادة تنظيم الادارة الشرعية الاسلامية على كيفية معقولة تتفق و قانون الفكر الاسلامي ، مع فصل الدين عن الدولة ، و تطبيق كل قوانينه المقررة حسب منطوقه و مفهومه واسترجاع كل المؤسسات الدينية الى المجتمع المسلم الذي يمكن له وحده ان يتصرف فيها و يستغلها بواسطة الجمعيات الدينية التي تؤسس بصفة قانونية.

صيانة المؤسسات الدينية و رجالها بواسطة مداخل الاوقاف ، الغاء كل الاجراءات الخاصة باللغة العربية و التي جعلتها في وضع لغة اجنبية . حرية تعليم اللغة العربية ، و حرية التعبير و الصحافة العربية

4 - المطالب الاجتماعية :

التعليم الاجباري لكل الاطفال من الجنسين ، بالبداية فورا في بناء المدارس ضمن برنامج واسع. ضم التعليمين للاوربيين و الاهالي.

تنمية مشاريع المساعدات

اقامة مطاعم شعبية

انشاء صناديق البطالة لكل العاطلين

5 - المطالب الاقتصادية :

تساوى الاجر اذا تساوى العمل - تساوى الرتبة اذا تساوت الكفاءة - تقسيم المساعدة التي تقدمها الميزانية الجزائرية الى الفلاحة و التجارة و الصناعة و الحرف على حسب الاحياجات و دون تفريق بين الجنسين.....

6 المطالب السياسية :

العفو العام على كل الجناح السياسية - توحيد هيئة الناخبين في كل الانتخابات - حق الترشح للنيابة لكل المنتخبين - التصويت العام - النيابة في مجلس الامة¹⁵. إذا هذه هي مطالب الاجماع العام الذي شهدته الجزائر ن لكن فرنسا الاستعمارية لم تعرها ادنى اهتمام وهي التي وعدت فاخلفت ف يالعديد من المرات. « فما ان رجع الوفد - من باريس - الذي اعتبره الراسخون في السياسة انه عاد يحمل الخيبة الكاملة ، و اعتبره المجموع انه عاد - و لو ظاهرا - منتصرا ، حتى تحركت رؤوس الافاعي تنفث سمومها، و اندغعت الادارة الاستعمارية في الجزائر تنصب المكائد و تثير الشكوك و تنشر الشائعات ..»¹⁶

و رغم الحماس الذي شهدته المؤتمر الا ان القرارات كانت متواضعة لا ترقى الى طموحات الشعب الا هو الاستقلال عن فرنسا. الا ان المطالب - كما تقول البصائر - « أنها كانت نتيجة مؤتمر عمومي جامع ، و مقررات نخبة الامة كلها . و مهما كان في بعض هذه المطالب من ضعف ، و مهما كان من نقص فلا يسع الانسان الا الاعتراف بانها مطالب الامة بصفة حقيقية ، و ان ارادة الشعب هي التي املتتها، و ان نواب الشعب هم الذين حملوا مهمة النضال عنها و الدفاع عن فكرتها الى ان تتحقق »¹⁷

اجمالا فان المؤتمر الاسلامي جاء بنتائج مهما كانت فهي ايجابية على مستويات عدة :

1 - يعتبر المؤتمر الاسلامي اول ائتلاف سياسي منذ

ن و اخذت الفكرتان الاساسيتان الجزائريتان في النمو و الانتشار . فكرة الشعب الاستقلالية ن و فكرة جمعية العلماء العربية الاسلامية ن الفكرتين واحد ألا و هو انشاء المجتمع الجزائري الذي يسير نحو الاستقلال تحت راية العروبة و الاسلام «¹⁹ - سمح المؤتمر الاسلامي بتأصيل وعي سياسي لدى عموم الشعب الذي تابع المؤتمر و تفاعل معه ن و ظهر ذلك جليا من خلال التجمعات و خاصة منها تجمع 2 اوت 1936.

8 - سمح المؤتمر ببروز تقارب بين النواب و العلماء و الطريقين» فالاطراف التي حضرت المؤتمر تعرفت بعضها الى بعض ، و ساهمت في اللحظة ذاتها في صوغ فلسفته و المطالب التي تمخضت عنه و لأول مرة حاولت القوى الاهلية ان تمتحن قدرتها على الاقناع و التعرف الى محدودية الاهداف التي رسمتها في برامجها و ما تدعو اليه في خطابها «²⁰ باستثناء نجم شمال افريقيا الذي سمح له المؤتمر من البروز في الجزائر و التعرف عن الواقع الجزائري و خاصة بعد خطاب مصالي الحاج في الملعب البلدي بيلكو يوم 2 اوت 1936.

9 - لقد حقق المؤتمر الاسلامي بكل ما احتواه اجماعا وطنيا لدى عامة الشعب بكل معانيها فجريدة الامة لسان حال نجم شمال إفريقيا تصرح : « في هذا المؤتمر بدأ الشعب الذي طالما تعرض للتفتت و الانقسام ، يستعيد وعيه بالوحدة »²¹

ائتلاف احباب البيان و الحرية

شهدت الفترة التي تلت المؤتمر الاسلامي تراجعاً كبيراً في العمل السياسي فمن جهة سقوط الجبهة الشعبية في فرنسا و من جهة اخرى بؤادر الازمات الاوروبية و خاصة ظهور هتلر و موسيليني على الصعيد الاوروبي و ما تلا ذلك من السياسات ادت في النهاية الى اندلاع الحرب العالمية الثانية.²²

بروز الظاهرة الحزبية في تاريخ الجزائر المعاصر ، و الذي عبر عن روح العمل الجماعي لدى الطبقة السياسية الجزائرية بكل اطيافها رغم اختلاف المرجعيات الايديولوجية المعتمدة لدى كل تيار.

2 - لقد سمح المؤتمر الاسلامي بتصميم مطالب ضمت توجهات الحركة الوطنية قدمها الوفد الجزائري الى رئيس الحكومة الفرنسية ليون بلوم ، حيث مزجت بين المساواة في الحقوق مع الفرنسيين و خاصة التعليم و مطالب وطنية و اخرى خاصة بالهوية .

3 - اكد المؤتمر تمسك الشعب الجزائري من خلال زعمائه بمقومات الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة العربية و الدين الإسلامي ، و اعطى دفعا جديدا للحركة الوطنية لاعادة النظر في وسائل المقاومة ضد الاحتلال ، كما قيم المؤتمر حصيلة ما يقارب عقدين من النضال السياسي ضد الاستعمار.

4 - بين المؤتمر و ما تلاه من زيارة الوفد الى باريس ان الاستعمار يراوغ و يتهرب من التزاماته رغم الآمال التي كانت لدى الجميع من افراد الوفد الى اشعب الجزائري و زعمائه الذين اجتمعوا لأول مرة للدفاع عن طموحات.

5 - لم يكن الاخفاق الذي تبع المؤتمر الاسلامي نابع من كون زعماء الحركة الوطنية لم يكونوا في المستوى و إنما يعود الى كون الطرف الفرنسي لم يكن راغبا في التعامل مع السياسة الاهلية بجدية رغم طرحها لمشروع « بلوم - فيوليت - و الرامي الى تجنيس طائفة من الشعب الجزائري ، و هذا المبدأ الذي اعتبرته جمعية العلماء المسلمين ردّة عن الدين الاسلامي لانه « يقبل طوعا و اختيارا الخروج عن احكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بحالته الشخصية .. »¹⁸

6 - ان تلاشي مطالب المؤتمر الاسلامي هو في حد ذاته انتصار للحركة الوطنية فيرى الاستاذ احمد توفيق المدني : « فما عمت فكرة المؤتمر حتى تلاشت



الهوامش

- 11 بن العقون ج2 ص 24/23.
- 12 بن العقون . مرجع سابق ص 27/26
- 13 بن العقون مرجع سابق ص 35.
- 14 البصائر ، العدد 30 ، 31 جويلية 1936. ص....
- 15 احمد توفيق المدني . هذه هي الجزائر . القاهرة مكتبة النهضة المصرية . د ت ، ص 171
- 16 نفسه ، ص 172/171.
- 17 نور الدين ثنيو. إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. الدوحة . المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. ط1. 2015. ص 408
- 18 El ouma , n°40 , juin – juillet 1936 19
- 1 الامير خالد . رسالة الى الرئيس الامريكي و نصوص اخرى. ترجمة محمد المعراجي . الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 2006 ، ص 40.
- 2 محمد عباس . الامير خالد الاهلي المتمرد. جريدة الشروق اليومي ، العدد 2584 ، 14 افريل 2009. ص
- 3 مصطفى الاشرف ، الجزائرية الامة و المجتمع ص 247
- * الكسندر ميلران (1859 – 1943) حكم فرنسا من 23 سبتمبر 1920 ال 11 جوان 1924.
- 4 عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون. الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920- 1936 الجزء الاول. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب 1984. ص 77/76.
- 5 نفسه ، ص 77.
- 6 نفسه ، ص 83.
- 7 محفوظ قداش ، محمد قنانش. نجم شمال افريقيا 1926- 1937 . الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2 ، 1994. ص 99
- 8 ابو القاسم سعد الله . الحركة الوطنية الجزائرية .. ج3 بيروت. دار الغرب الإسلامي. ط4 1992 ، .. ص 152
- 9 جريدة البصائر ، العدد 23 . 12 جوان 1936 ، ص 2
- 10 محمد الميلي . المؤتمر الاسلامي الجزائري. الجزائر ، دار هومة 2006 . ص 435.